لغة الموسيقي للتعبير عن حياة الشعوب

د . أحلام جمعة السعيطي - كلية التربية بنغازي - جامعة بنغازي
Ahlam.guma@uob.edu.ly

الملخص:

تعتبر الموسيقي من الفنون الزمانية التي اتخذت طابعها الخاص وأسلوبه في التعبير علي حسب مكانها ووجودها ، واعتبرت فنا عالميا عُرف منذ القدم مع أول ظهور بديات الإنسان ، حيث مارسه وتمتع به وتطورت مع تطور الزمن من خلال أشخا ص آمنوا بأهميتها وبكونها فنا جميلا له تأثير على شخصية الفرد وتكيفه مع الآخرين من خلال تعديل سلوكه وتنميه جوانب شخصيته حيث اقتصرت في العصور الوسطي على الطبقة الحاكمة دون عامة الشعب وساعدت الكنيسة الكاثوليكية في تطور الموسيقي في تلك الفترة عندما سمحت بدخول موسيقي التراتيل الخاصة بالصلوات في الكنائس ودور العبادة ، وقد اعتني العرب بالموسيقي ودرسوها كعلم له أصوله وقواعده واشتهرت في العهد الأمو ي والعباسي الذين أبدي ا فيها أمرائها اهتماما واضحا بالموسيقي حتى برز أشهر الموسيقيين من أمثال زرياب.

ومن خلال هذا البحث سوف نحاول التعريف بمعني كلمة الموسيقي باعتبارها أكثر أنواع الفنون المعبرة عن المشاعر الداخلية للإنسان عند ما تصدر الأصوات الموسيقية من خلال اتحاد النغم والإيقاع واللحن الذي يثير الانفعالات والخيالات الراكدة بالإضافة إلى الحديث عن العناصر المكونة للغة الموسيقية وأهميتها في تطوير وتأليف الموسيقي من خلال الإيقاع والميلودية والهرموني ثم ننهي بحثنا بما توصلنا الية من نتائج.

الكلمات الافتتاحية : الموسيقي-اللحن -الإيقاع-الطرب .

The Language of Music to Express Nations' Life

Abstract

Poetry is one of the ancient arts known to man throughout the era. As it was used to record the nations' life in many and varied ways, according to the occasion, it was used in self-defense, society, against enemies, inflaming enthusiasm in wars, and singing about glories and civilizations.

poetry was primitive in the form of short stanzas or turbulent verses and evolved until it reached its current form of elegant formulation of language in the forms and methods in which poets and writers are creative.

From here, this study aims to identify the concept of poetry, which has conflicting opinions and multiple trends about its nature, which reflects the poet's inner potentials, expressing his feelings and emotions that he lived through in poetic artistic images.
However, opinions are almost agree about its uses throughout the ages, since it is an emotional response that reflects aspects of the poet's life in the environmental surroundings around him.
The poet was a mirror of his time, a blogger of his history, a praiser of his glories, a depiction of his personal life and flirtation with his beloved. creating in the recipient the beautiful effect that the poet seeks through the use of the queen of imagination and the creation of the aesthetics of poetic images.
key words: poetry, poets, expression, weight, inspiration.

المقدمة :

الموسيقى من الفنون العالمية التي استمتع بها الإنسان منذ القدم ولايزال يستمتع بها عبر تطورها الزمني ، حيث اختلفت الموسيقي باختلاف المناسبات الخاصة بها سواء كانت مناسبات اجتماعية أو دينية حيث صاحب الموسيقي تغيرات في اللحن والآلات والإيقاع عبر تطورها ، فقد اعتمدت في بدايتها على أصوات الطبيعة والكائنات المتواجدة بها ثم تطورت إلى أن وصلت على ماهي عليه اليوم من خلال علم يقوم بدارسة مبادئ وأصول النغم والإيقاع واللحن بحيث تساعد علي نمو شخصية الفرد وتنمية قدراته الوجدانية والحسية.

مشكلة الدراسة:

اختلاف الأداء الموسيقي من مكان إلى أخر رغم استخدام المصطلح نفسه مع تعدد استخدام مجالاتها حيث تشكل الموسيقي الجزء الأكبر في ثقافة الشعوب وأسلوب حياتهم اليومي وخاصة ارتباطها الوثيق بالجانب الديني في بداية ظهورها ؛ لذلك سنحاول في هذا البحث التعرف على هذ المصطلح واختلاف أدائه ونشأته حسب الثقافات المتعددة ومناقشة مدي تأثيره على حالات الأنسان السلوكية والمساهمة في تعديله.

أسئلة الدراسة:

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الأتية:

1- ماهي البدايات الأولي للموسيقي وطرق تطورها؟
2- ما دور الموسيقي في حياة الأنسان؟
3- هل للموسيقي تأثير على حالة الإنسان النفسية والمرضية؟
4- ما علاقة الموسيقي بالفنون الأخرى؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذا الدارســـة إلى:

1- التعرف على البدايات الأولى للموسيقى وطرق تطورها.
2- بيان أهمية الموسيقى في حياة الإنسان.
3- توضيح مدى تأثير الموسيقى على حالة الإنسان النفسية والمرضية.
4- الكشف عن طبيعة العلاقة بين الموسيقى والفنون الأخرى.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدارسة في التعرف على تأثير الموسيقى وقدرتها على شفاء وعلاج الحالات المرضية التي استخدمت الموسيقي كنوع من العلاج وخاصة أمراض الأعصاب ، فلم تكن الموسيقي وسيلة استمتاع فقط ؛ بل عبر من خلالها الإنسان عن ذاته ومشاعره بأنغامها المختلفة كما أنها تأثر على مزاجية الفرد وتمد الجسم بطاقة إيجابية.

المنهج المتبع:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لإنجاز هذا الدارسة.

لغة الموسيقـــــى :

تعد الموسيقى أحد الفنون السمعية التي لها القدرة على الخوض بالإنسان إلى عالم اللاواقع ، وعالم الخيال ليتخلص من آلامه وأحزانه ، ويعبر بها - أيضا - عن أماله وسعادته ومهما كانت عادات الشعوب وتقاليدهم مختلفة وحتى لغتهم وثقافتهم مختلفة فإنها تبقى الموسيقى واحدة في بثّ الفرح والبهجة في قلوب الناس ، وللتعبير- أيضا - بلغة غير لغة الكلام حتى صارت لكل ثقافة موسيقاها الخاصة ، التي غالبًا ما عبّرت عن ثقافة الشعوب وتراثهم الخاص.

فأدخلت الموسيقى في مجالات الحياة كافة من علاجات وأفــراح وحتى في المآتم كانت تستخدم موسيقى تُسمّى الموسيقى الجنائزية ، بذلك شكلت الموسيقي جُزءا مهما من أسلوب حياة الناس في العديد من الثقافات ، وبما أن الموسيقي أحد الفنون السمعية التي عبر بها الإنسان عن أعماق نفسه ، كما لا يمكن الاستغناء عنها كان من الأجدر بنا التّطرق لمفهوم الفن بصفته مدخلا لدراسة الموسيقي حيث يعد الفن تعبيرًا عن الحياة بكل جوانبها ابتداءً من المهارات البسيطة اليدوية التي بداها الإنسان بشكل عفوي وتلقائي في بديات حياته الأولي من متطلبات معيشته في استغلاله لموارد الطبيعة فنحت أدوات طهوه وأسلحته ورســـم طريقة حياته واصطياده للحيوانات ومارس الغناء

والرقص بصفتها طقوساً دينية ، ثم تطـــوّرت أعماله فأبرز الجانب الحسي الفني الجمالي حتي وصل إلى وقتنا الحالي من مستويات الإبداع ، فعرف الفن بأنه : " تعبير أطلق على كل ما يسوي الصنعة أو الحرفة ، ويكون له تأثير عما يحدث داخل النفس الإنسانية من تأثيرات وبواعث بواسطة الأعمال الفنية التي تضمنت الخطوط أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ"(1) ، ووصف بأنه مشاركة الشعور مع الآخـــرين حيث حدده (تولستوي) بأنه نشاط إنساني يكمن في أن يقوم إنسان ما بوعـــي وبواسطة إشارات خارجية معروفة بنقل الأحاسيس التي يعاني منها إلى الآخـــرين "(2) في صورة أعمال فنية تتسم بتناولها لجوانب الحياة والبيئة المحيطة بالإنسان عن طريق استخدامه لمواد الطبيعة بطرائق مختلفة فإذا عبر بالإنشاء كانت العمارة ، وإذا عبر باللفظ كان الشعر والنثر وجاء الرقص والتمثيل بصفته تعبيراً بالحركات، وأما اذا عبر باللحن كانت الموسيقي مستخدما فيها الإنسان أبسط المهارات اليدوية إلى أن وصل إلى مستويات الإبداع الفني فصار الفن نشاط عمليا إنسانيا يقوم به مجموعة من الأفراد يمتازون بقدرتهم على الإبداع والابتكار لمظاهر عديدة تتحدث عما لدي الفنان من ثقافة وتحضر وقيم رفيعة وكانت الموسيقي إحدى هذه الإبداعات.

تعد الموسيقي من أنواع الفنون التي اهتمت بالإيقاع والتأليف والألحان ، فكانت بدياتها الأولى معتمدة على الأصوات التي تصدرها الطبيعة المحيطة من أصوات عدة كأصوات الحيوانات والأنهار والأشجار ثم تطورت إلى نفخ الأنابيب والأبواق حتى صارت جزءا مهما من حياة الإنسان ، وملازمة لكل مناسبة في حياتهم سواء أكانت فرحاً أو حزناً أو طقوساً دينية ، حتى في حروبهم كانت الموسيقي حاضرة .

والموسيقي أحد العلوم الرياضية وفرع من العلم الطبيعي، وهي صناعة يبحث فيها عن أحوال النغم حيث تهتم بجزئين:

الأول ـ علم التأليف وهو اللحن .

الثاني ـ علم الإيقاع وهو المسمى الأصول .

النغمة : هي صوت يلبث زماناً على حد من الجدة والثقل واللحن ما تالف من نغمات بعضها يعلو أو يسفل عن بعض عن نسب معلومة (3)

وعرفت الموسيقي - أيضا - بصفتها علماً ينحصر" في علم العزف على الآلات الموسيقية وعلم الغناء بموجب الأوزان الموسيقية التي تجعل اللحن مؤلفاً من عبارات موسيقية متساوية في أزمنته ولو اختلفت في أنغامها (4) ، وقد أطلقت كلمة موسيقى على "فنون العزف على آلات الطرب ، التي بدأت بالعود والربابة والناي بأحجام متفاوتة في الكبر (5) وعرفت بأنها : " فن الألحان والنغم وما يحيط به من نواحي العلم

والمعرفة وتتكون من أربعة عناصر أساسية هي الإيقاع ، والميلودي والهرموني، الطابع الصوتي" (6)

تطـــــوّر الموسيقي :

لاقت الموسيقي اهتماما كبير على مـــر العصور فاقتصرت في العصور الوسطي على الملوك وأصحاب البلاط فقط دون عامة الناس فاعتمدوا الكلمة أكثر من اللحن بإلقاء الشعر بشكل ترتيلي مع مصاحبة موسيقى بسيطة في ظل تحكم الكنيسة في كل أوجه الحياة.

واتصف العصر الموسيقي الإغريقي الروماني بطابع إغريقي ثم أصبح رومانياً حيث برزت الموسيقي العسكرية وانتشرت الآلات الموسيقية النحاسية بخاصة آلات النفخ بين الرومان كالمزمار البدائي ، واعتبر (أفلاطون PIATO -427-347ق م) من أعلام العصر الإغريقي الذي كان له تأثير كبير على الفلاسفة عبر العصور من خلال فلسفته، وبخاصة الموسيقي، التي عدها حصن المدينة ، وأساس أخلاقه ؛ لذا نادي أن " يتعلم النشء المؤثرات الموسيقية الصالحة وحدها واستبعاد كل فن يبعث في النفس الغرائز أو يولد صفات غير مرغوبة"(7) وذلك من أجل خلق جيل قوي أخلاقيًا ونفسيًا ؛ لأنها تكسب الاتزان والنقاء للجسم ، فدعا إلى استبعاد كل موسيقى لها تأثير غير أخلاقي ونفسي على النشء والمجتمع.

واهتم العرب اهتماماً كبيراً بالموسيقى فأغلب فلاســـفة العرب درسوا الموسيقي بصفتها علماً له أصوله وقواعده حيث انتشرت الموسيقي في كل ربوع البلاد ، وكانت الأندلس من المراكز المهمة لتطـــور الموسيقي (8) ، ويعد زرياب من أشهر الشخصيات الموسيقية الذي عرفته الحضارة العربية في الموسيقي الأندلسية وغيرها. بالإضافة إلى ابن مجاح الذي بـــرز في عهد الدولة الأموية ، وإسحاق الموصلي الذي عد من أشهر موسيقي عهد الدولة العباسية إلى جانب ذلك اهتموا بالتأليف الموسيقى من أمثال كتاب الفارابي (الموسيقى الكبير) الذي تناول فيه القواعد الموسيقية التي يسير علي نهجها الموسيقيون العرب إلى الوقت الحالي ورسالة في خبر تأليف الألحان للكندي ، وكتاب الشفاء لابن سينا(1080 - 1037) الذي تناول فيها الموسيقى ووصفها بأنها : "علم رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم، من حيث تأتلف وتتنافر وأحوال الأزمنة المتحللة بينهما كيف يؤلف للحن" (9) ، ولعل من أهم التطورات الكبيرة التي حدثت في الموسيقي العربية نظام اللحن والإيقاع. " وقد عرف العرب في القرن الثالث عشر اثنا عشر مقاماً سمي منها بتسميات فارسية، وقد كان التحريم للغناء الذي انحط عن

مرتبة الفن الجميل إلى الفسق والعهر والمجون، فالتحريم كان لهذا اللون من الغناء وليس لمطلق الغناء)" (10)

أما في عصر النهضة، الذي حصل فيه تطور وازدهار في المجالات كافة منها: الفنون، والمعرفة فكانت البدايات للموسيقي الصوتية ثم بدأت الآلات تظهر وتنتشر وأصبحت الموسيقي أكثر تحرراً حتى مع وجود سيطرة الكنيسة، وازدهرت أشكال متقدمة من الموسيقي وموسيقي التراتيل الخاصة بالصلوات، وكان تأثير القدماء واضحا على فلاسفة عصر النهضة خاصة في " تأكيد القدماء على التأثيرات الأخلاقية للموسيقي من حيث قدرتها على بناء الشخصية أو هدمها وتحقيق الفضيلة والقضاء عليها (11).

امتدت في العصر الباروكي من القرن السابع عشر إلى نصف القرن الثامن عشر وحدث انفجار موسيقي كبير أدّى إلى تطـــور الموسيقى وخروجها من سيطرة الكنيسة "وانتقلت من الكنائس إلى قصور الأمراء والنبلاء والإقطاعيين .....، حيث كانت مهمة الموسيقى أن يؤلف مقطوعات يقصد بها الترويح عن الأمير وضيوفه في الحفلات الخاصة" (12) حيث عد هذا العصر بداية ظهور السمفونية الموسيقية كالأوبرا والاكستر، وتميّز عصر الباروك بأسلوب التأليف والألحان والإيقاع الموسيقي، كما برزت الكلاسيكية والرومانسية بصفتها حركة أدبية فكرية سعت إلى عمل موسيقي دارميه عاطفية خلال القرن التاسع عشر حيث تميزت هذه الفترة بالعلاقة القوية بين الفن والمشاعر الإنسانية وتوغّـــل الموسيقى داخل النفس الإنسانية وتأثيرها على حالات الإنسان النفسية.

أما حديثا فقد كان تأثير الغرب واضحاً على الموسيقي العربية فأدخلوا ألواناً جديدة عليها كالآلات والكلمات الغربية ، بخاصة في فترة الازدهار في الإندلس.

أصبحت الموسيقي في بديات القرن التاسع عشر الفن المميز لهذا العصر بعد ابتعادها عن الكنيسة في ظل الحرية الكاملة للفنان للتعبير ومدى محاكاة الموضوعات الطبيعية ومدى تأثر الآخرين بها ، حيث عدها فلاسفة الألمان بأنها : تعبير عن أعماق الحياة ووصفها (أرموا) بأنها : تعبير عن العواطف وبأنه لا يوجد فن يستطيع كما تستطيع الموسيقي أن تعبر عن المشاعر الكبرى التي تهز النفس الإنسانية وهي نفس المشاعر التي نجدها في كل العصور وفي كل البلاد"(13) ، ويصفها (بتهوفن) بأنها : تنبع من القلب وتذهب إلى القلب (14) ، ووصفها (جان جاك روسوROUSSEAU-1762-1714) بأنها : ما نحس به وما نرغب .

فسيطرة الموسيقى على أرواحنا ليست من عمل الأصوات فإن ألواناً جميلة ومحكمة التدرج تروق النظر ؛ لكن هذا الالتذاذ هو التذاذ بالإحساس فقط "(15)

عُدت الموسيقى بأنها صوت النفس الخفي تصل بالإنسان إلى عالم الإحساس والخيال فقال عنها (هيجلHEJEL-1770-1831) بأنها : تدخل إلى مشاعر النفس فتظهر جوهـــر حياتنا الداخلية حيث تجسّـــد مثالية واضحة ومشاعـــر ذاتية في مظاهر تتألف من أنغام رنانة بدل الأشكال المرئية " (16) ، وعدها (آرثر شوبنها ور -1788-1860) بأنها : تعبير مناسب عن الإرادة ، وهي دورة دم قلب الكون ، الموسيقي لا تحتاج لتمثيل أو لتأمل هي الإرادة نفسها مسموعة وهي الحقيقة الماورائية القصوى للكون تكشف ماهيتها في نغمة حلوة ومرة لا تقاوم " (17) ، بذلك عدت الموسيقى من أهم الفنون التي عرفها الإنسان ، وعبّر بها عن أفكاره ومشاعره من خـــلال المثلث الموسيقي ، الذي يتضمن النغمة والإيقاع واللحن ينقل بواسطتها مشاعره إلى الأخرين ، التي لا بد أن تكون مثيرة لانفعالات النفس الإنسانية من خلال ما يضيفه الفنان من نفســـه على الألحان الموسيقية ؛ بذلك فإن الموسيقى هـــي " اللغة المثلى للعاطفة وهدفها ترجمة المشاعر وتحركات القلب وحالات النفس .إن وظيفة الموسيقى هي التعبير عن أعماق الحياة العاطفية والوجدانية للإنسان لذا كانت قريبة من التجربة وبعيدة عن المادية والحسية" (18)، وهذا ما يعرف بالتذوق الموسيقي الذي يهدف إلى إعطاء المستمع القدرة على الاستماع والفهم وإدراك لعناصر الموسيقى مما يولد لديه شعورًا بالمتعة والرغبة لتذوق الموسيقى والقيم الجمالية في العمل الموسيقي حيث يشمل التذوق على " التمييز بين الحدة والغلظة وبين السرعة والبطء وبين الأصوات الصاعدة والهابطة والتمييز بين الشدة واللين والأداء المتصل والأداء المتقطع" (19).

فليست الموسيقى مجرد استماع لنعمات فقط ؛ بل هي إحساس وتذوق وثقافة عامة وتدريب وغوص في غمار العمل الموسيقي الذي " يغمرنا بشعور من الراحة الجسدية والنفسية عن طريق التأثير في جهازنا العصبي المركزي الشخصي الذي ينظم إفرازاتنا الباطنة التي هي الأساس المادي لجميع انفعالاتنا الشعورية"(20) لذا وصفت الموسيقى بأنها : منبع العديد من المشاعر المختلفة التي تتيح للفنان أن يحـــرّر عقله تحريراً كاملا من الأفكار الدفينة التي تنطوي عليها مشاعره ، التي تختلف حسب نغمة الموسيقى فهناك الأنغام التي تبث الفرح والسرور وهناك ما يبعث على الحزن حسب نوع النغمة كالموسيقى الجنائزية التي تقام في الكنائس .

مكانة الموسيقي بين الفنون :

ارتبطت الموسيقى ببعض الفنون الأخرى ارتباطاً وثيقاً فهي تعد أشد الفنون تأثيراً على الإنسان حيث عُدت لغة البشـــر عامة ، فصاحبت الغناء الموسيقى منذ القدم ، فأنشدت الأشعار والأناشيد المصاحبة للموسيقى عن طريق اللحن الذي سمى بأنه " الخلية البدائية الأولى للمضمون الموسيقى (21) كما عد الغناء تعبيراً عن مشاعر النفس وأمالها وآلامها ؛ كما أنه انطلاقة تلقائية يعبر بها الإنسان عن لواعج النفس وحرارة الشوق (22) فحين نعجب بجمال أغنية فقد يكون إعجابًا فرديًا ذاتيًا راجعًا لتأثيرها النفسي أو إلى براعة الألحان وطريقة أدائها المميزة والمؤثرة.

وشبهت الموسيقى بالعمارة ؛ لأنه كما العمارة بناء عدت الموسيقى – أيضا- بناء إلى جانب أنه " في فن الموسيقي، كذلك المعمار تستخدم الرياضيات وتعد الأعـــداد والنسب عناصر للجمال الموسيقي"(23) ، فكما يبحث المعماري عن المواد الخام المناسبة لبنائه ويجمعه قبل بداية العمل فإن الموسيقي يفعل كذلك قبل أن يبدأ موسيقاه بتجهيز الحانة أو سوناته حتى يصل لموسيقي جميلة ، لذا فقد تتضمن عملية التصميم المعماري علي نفس مكونات المسرحيات الموسيقية الكبيرة فهي تتناول المصمم الفني والمتلقي إلى جانب العمل الفني نفسه.

كما ارتبطت الموسيقي بالعمل التشكيلي ، وكثيراً ما شبهت قطعة موسيقية بأنها : لوحة فنية، ووصفت لوحة فنية بأنها عمل موسيقي فكلاهما يعبر فيها الفنان بكل حرية ، فالرســـم يعبر بالشكل المرئي والموسيقار يعبر بشكل سمعي غير مرئي ، فالفنان يجعل اللوحة تمارس ســـحرها وجاذبيتها على المشاهدين وتخضعنا الموسيقي لسحر اللحن والصوت، وتدخل الموسيقي في العديد من الفنون الأخـــرى كالمسرحيات والمسلسلات والأفلام التي تتخللها المقاطع الموسيقية المعبرة.

إلا أننا لا نستطيع الحـــزم بوحدة الحس الموسيقي والتذوق ؛ لأن هذا يتوقف على قدرات الفرد الذاتية وحسه الموسيقي ومدى تذوقه الخاص للموسيقى ، فالفرد القادر على التمييز بين الألحان والآلات الموسيقية هو إنسان متذوّق ولديه حس وأذن موسيقية ، التي تختلف من شخص إلى آخـــر حسب الآراء الخاصة للأفراد فنجده يستمتع بالمعزوفة وكأنه يشاهـــد عملا مصوراً أمامه ، بعكس الفرد العادي الذي يرى فيها لحنا أو قطعة موسيقية فقط.

ولابد من القول أن الموسيقى تلعب دورًا مهماً في حياة الإنسان من خلال تأثيرها علي العقل والجسم – أيضا - ، فقد استخدمت كثيراً في العِلاجات لأشخاص لمساعدتهم

على الشفاء ، وبخاصة الذين يعانُـــون من التوتر والقلق ، ورفع كفاءة وقدرات الفرد النفسية خاصة الموسيقي الهادئة ذات الأنغام البطيئة والنغمات المنخفضة حيث تساعد علي تحسين المـــزاج ورفع معدلات الأداء والمهارات الجسمية، وذلك بقدرتها على تحريك المشاعر الراكدة في أعماق الإنسان.، كما أن فن الرقص لا وجـــود له بدون موسيقي فكانت الرقصات تؤدي على أنغام موسيقية مختلفة حسب المناسبات ، كما أن الشـــعراء أدرجوا الموسيقي ضمن قصائدهم ، فهذا التنوع الموسيقي يرجع إلى تنوع أغراض الموسيقى ما بين اجتماعية ودينية وعملية فكل مناسبة موسيقاها الخاصة مثلا: "الموسيقي التصويرية التي تصاحب الأفلام والتمثيليات وتساعد على تعزيز المواقف الدرامية ، وقد ألفت مقطوعات عدة على هذا النحو سميت بالقصائد السيمفونية التي أطلق عليها أسماء أعمال أدبية مثل روميو وجولييت لشكسبير، وفاوست لجوته ، ودون جوانا ، وهكذا تكلم زاردشت لينتشه (24)"فالموسيقي هي لغة العالم الوحيدة التي يســـتوى الناس جميعا في إدراكها مهما اختلفت أجناسهم وعقائدهم ومبادئهم وأفكارهم ، ومن هنا كانت الموسيقي هي الوسيلة المثالية التي تنقل تجارب الفنان الشعورية إلى المستمع "(25).

عناصر الصوت الموسيقي :

تكونت الموسيقى من مجموعة عناصر الصوت باعتبارها اللغة الأساسية للموسيقي أو عناصر تكون اللغة الموسيقية وهذه العناصر هي الإيقاع - الميلودية أو اللحن والهرموني أو التوافق وسنتطرق الدارسة لهذه العناصر كلن على حدة.

أولاً ـ الإيقـــــاع : يعد الإيقاع من أهم العوامل الأساسية في التأليف الموسيقى ؛ إذ أنه يحدد نوعية ولون القطعة من حيث إنه يتضمن إيقاعا شعبيا أو تراثياً أو رقصًا .... الخ. " والإيقاع تنظيم متناغم يؤثـــر في الأذن ، واستجابة الإنسان لسائـــر الفنون معناه انه يحس بإيقاعاتها رغـــم اختلاف الشكل الذي يظهر به الإيقاع "(26) ، ويعد الإيقاع من الظواهـــر القديمة التي عرفها الإنسان حاول فيها تجسيد حركات جسده ونبرات صوته مع وجود البيئة المحيطة ليمنحه شعور الرحة والمتعة حيث اعتبر الإيقاع سمه مشتركة بين الفنون ، ويرجع أصل كلمة إيقاع إلى الفرنســـية Me sure بمعنى: المقاس وتعني :..التقسيمات الزمنية المتساوية التي تعترض السطر الموسيقي الذ ي يتكون من خمسة أسطر أفقية وتحتوي على ما زوده على وحدات متساوية النبض الإيقاعي المتكرر"(27)

وقد اتفق أغلب المؤرخين على أن الموسيقي "وإن كانت قد بدأت في مكان ما فقد بدأت مغريات إيقاع ما" (28) ؛ إذ عد الإيقاع تنظيم لحركة الصوت الموسيقى من حيث الحركة والمنتهي وله تأثير مباشـــر وفوري ، نستشعر ذلك بشكل فطري غزيزي ، إلا أن الإيقاع وحدة في العمل الموسيقى لا يحقّـــق ماهيته ؛ بل لا بد أن يكون مصاحبا لباقي العناصر الموسيقية الأخرى ، كما أنه أحساس بالجملة الموسيقية وليس مجرد قياس لحركة الصوت فقط " فنحن نفهم الإيقاع الحقيقي فقط عندما نؤكّـــد النغمات تبعا للإحساس الموسيقي بالجملة" (29) بالإضافة إلى أن الإيقاع في الموسيقي " له سحره الأساسي الذي يتيح لنا استماع الموسيقي بإدراك وجداني وهو ذو فائدة عظمي أكثر من كونه وسيلة تيسر للفهم" (30)

ثانياً ـ الميلودية (اللحن Melody) : اللحن من العناصر المهمة المكونة للعمل الموسيقي ؛ إذ يبرز من خلال ارتفاع وهبوط الأصوات والأنغام وتغير الإيقاع وكيفية الوقوف والاستئناف وتعد هذه الصلة أساس علم التركيبات الصوتية، ولكي يكون اللحن مرضياً وجميلاً "لا بد أن يكون مساره بوجه عام طويلا ومتدفقا بحيث يشمل على مواضع منخفضة ومواضع مرتفعة وأن تبلغ الذروة عادة قرب النهاية" (31)، أي : لابد أن تبلغ بالمقطوعة الموسيقية نهايتها ؛ لأن اللحن أو الميلودي هو أكثر عناصر الصوت الموسيقي قابلية للتذكر ؛ لأن أغلب الجمهور المتذوّق للموسيقى دائما ما يتذكر اللحن على غيره من العناصر الموسيقية الأخرى عندما يكون موضوع أعجابهم ومتعتهم ووفقا لخصائص عامة لا بد من توافرها في كل لحن حتى يكون له تأثير جمالي على المستمع فينبغي " أن ينشأ اللحن من تيمة أي من فكرة موسيقية رئيسية تتنافي وتنشعب عبر مسار اللحن كله وهذه القيمة التي تولد أحيانا في اندفاعه فريدة تشبه فيما يلاحظ الممارسون للإبداع الموسيقي داخلية لحنية توحي بمدلول معين ثم تنمو وتتكاثر عضويا بفضل القوة الدافعة فيها "(32) إلى جانب "أن الصوت الذي يمثل قاعدة السلم أو قراره...هو أهم الأصوات وهو الذي يرتد إليه اللحن في فن آخر الأمر حتى تحس الأذن عندئذ بأن اللحن قد انتهي نهايته الطبيعية (33)

غالبا ما تتكون الألحان من جملة موسيقية واحدة أو أكثر، وعادة ما تتكرر طوال زمن الأغنية أو القطعة الموسيقية من أشكا ل عدة مختلفة وتتكون الألحان من ألحان مقامية ، وألحان لا مقامية وتعد الألحان المقامية " التي تتبع مقاماً أو سلماً معينا ذا طابع مستقل يسيطر على المقطوعة الموسيقية المؤلفة في هذا المقام "(34) "والثانية هي ألحان لم يتم التقيد فيها بالعلاقات الثابتة بين النغمات الأساسية للمقام فقضت عموما على طابع المقامية" (35) ، وتعددت الألحان في القرن العشرين ؛ لأنهم كانوا يرغبون في خلق

الأصوات والأفكار الجدية خلال موسيقاهم ؛ إذ اعتمد اللحن على أربعة أنماط مختلفة وهي " لحن في تونالية) *موسعة ، ولحن متعدد التونالية) * لحن لاتونالي) *، ولحن في موسيقي الاثنا عشر الدوديلكافونية"*(36)

من خصائص اللحن في القرن العشرين تحرره من النظام التقليدي الذي تعتمد السلالم الكبيرة والصغيرة فكان لكل مؤلف أسلوبه الخاص به الذي يميل به إلى التغيير وتجنب التطويل والتكرر في اللحن فكانت أغلب اللحان غير منتظمة وغير متوقعة بعد أن كانت تعتمد على الطابع الرومانتيكي الذي يعتمد على الانفعالات ويميل للعاطفة والخيال فاتجه بعض المؤلفين الموسيقيين إلى التجديد فمنهم من استوحى أعماله من الماضي كالعصر الكلاسيكي وموسيقي الباروك ومنهم من اتخذ من موسيقي بعض الشعوب الأوروبية سبيلا للتأليف مثل موسيقي الجاز ومنهم من أبدع وجدد في كل عناصر الموسيقي مثل الموسيقي الإلكترونية والموسيقي المصنوعة.

على الرغم من الاختلاف بين الألحان من حيث الدرجة والزمن في الصعود والهبوط أو القفز على درجات السلم فإنها مرتبطة فيما بينها بنسب بعدها عن بعضها، وهذا ما يحدد صلة القرابة أو التأليف بين الأصوات المختلفة كما أن الصلة بين اللحن والإيقاع صلة قوية ومتينة ؛ لأنهما اعتبرا تؤام الموسيقي لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر فالإيقاع يعطي الموسيقي معنى خاصًا بتكوينها واللحن يعطيها معنى خاصًا بأثرها العاطفي والنفسي.

ثالثاً ـ الهارمونيـــــة : يقصد به التوافق الصوتي ، وتعني : صقل الموسيقى بنغمات متكاملة منسجمة بعضها ببعض ذات صوت متساو وبنغمات متعددة في سلم ما من السلالم الموسيقية وهي "النغمات التي تصاحب أي : نغمة، وتكون أعلاها أو أسفلها بحيث تســـمع جميعها في نفس اللحظة مع النغمة الأصلية ولا بد أن تكون متوافقة ومنسجمة " (37) حيث يُعــد من أكثر ما أبدع العقل البشري ابتكاراً وطرافه ويعمل على" إيجاد الانسجام بين صورتين أو أكثر في وقت واحد"(38) بذلك كان نتاجا لتصورات عقلية خالصة وابتكارا لموسيقى لا مصدر له إلا الموسيقى نفسها ويعد من العناصر الموسيقية المعقدة التي تحتاج إلى الدراسة الطويلة والمتأنية لفهم نظريتها وقواعدها وأنظمته ا المعقدة.

هذه العناصر الثلاثة المكونة للصوت الموسيقي وهي ما ينبغي تشكيل ة في ركب واحد منسجم حتى يكون للموسيقي تأثير جمالي ونلاحظ أن قدرة الفرد على سماع وتمييز الأصوات لذاتها لا تعني إدراك كل عنصر من هذه العناصر حدة بل لابد أن

تجتمع عناصر الصوت في القطعة الموسيقية حتى يستطيع المتذوق تمييز عناصر الصوت الموسيقي مما يولد لدية القدرة على التعرف على الدور الخاص الذي يقوم به كل عنصر داخل الكل، وفي هذا – أيضا- القدرة على إدراك هذه العناصر وتمييزها متصلة ومنفصلة في أن معا هذا يتطلب قد ارت سماعية خاصة وحس موسيقي.

وإضافة إلى ذلك فإنه مع تطور الموسيقى ، وتعدد أشكالها وأغراضها ظهرت الموسيقى المصاحبة للكلمات كالأغاني والمواويل حيث تصاحب الموسيقى الكلمات كما في الأوبـــرا التي انقسمت إلى نوعين : " نـــوع يعتمد على الغناء من أوله لآخره احتفظ باسم الأوبرا، والآخر فيه غناء يتخلل فقرات بالكلام العادي سمى اوبركوميك...." (39) ، وهناك موسيقي الفيلم وموسيقي السوناتا والسمفونية ورغم تعدد أشكاله أو أغراضها ما بين موسيقي تثير الفرح والبهجة وموسيقى حزينة وموسيقى دينية تُعبّر عن شُـــعور ديني لدى شعب مُعين فإنّ التأثير الموسيقى يبعث على راحـــة النفس والشعور بها، كما ظهرت موسيقي الجاز التي رافقت هجرة الأفارقة إلى أمريكا وأوروبا إلى جانب ظهور موسيقى البوب والروك والكثير من أنواع الموسيقى التي تتطـــوّر مع تطوّر الزمن بفضل التقدم التكنولوجي والعلمي ، وبات السماع للموسيقى في كل وقت أمر متوفر في أي وقت ومما لا شك فيه أن الإدراك والاستمتاع للموسيقي يختلف من شخص لآخـــر على قدر ما لدى الفرد من حس موسيقي وقدرة فطرية وتجربة واستمتاع ومثابرة على التذوق حتى تنشأ الأذن متذوقة للموسيقي وقادرة على تمييز الألحان وأصوات الآلات الموسيقية ، فالإنصات التكرر للموسيقي يعتبر نوعا من التدريب على الاستمتاع الموسيقي.

الموسيقي وتأثيرها على الإنسان:

تعتبر الموسيقى من أهم الفنـــون وأقدرها على التأثير في الإنسان والدّخول إلى أغـــوار نفسه ، ويكاد يتساوى البشـــر كلهم في كيفية تأثير الموسيقي عليهم حتى ولو كانت التحليلات مختلفة تبقي الموسيقى لها أثر عميق في النفس الإنسانية ؛ لأنها قادرة على مخاطبة المشاعر حيث اعتبرت بأنها: " الوسيلة المثالية التي تنقل تجارب الفنان الشعورية إلى حس المستمع " (40) ، وإذا نظرنا للموسيقى نجـــدها تلازم أغلبيه الفنـــون وترتبط بيها كالشعر والمسرح والغناء والتصوير والرقص ..الخ ، وتلعب الموسيقي دوار مهمًا في لفت انتباه الناس وتحفيزهم وشدّ هممهم في قضايا معينة عن طـــريق معزوفات قادرة علي التأثير علي من يستمع اليها وتحفيزهم للقيام بأعمالهم كما في الحروب حيث الموسيقى المحفّزة لشدّ الهمة ، كما أنها تخلق لدى الفـــرد روح

الإبداع والتذ وق وتسمـو بمشاعــره إلى الإيجابية والأخلاق النبيلة وقد فاضت كتب أفلاطون وخاصة في كتابة الجمهورية بأن الموسيقى هي أساس تربية الأطفال وتقويم الدولة لما لها من أهمية في تهذيب النفوس وتربية النشء تربية صحيحة مؤكدا أن " الموسيقى وهبت للإنسان لكي تهذبه وتجعله يحيا حياة منسجمة حكيمة بشــرط أن يكون سمعه للموسيقى قاصراً علي سماع الموسيقى المعدة إعداد سليما"(41) كما يتفق أصحاب الاتجاه المثالي مع أفلاطون على أن الموسيقى ترفع أخلاق الإنسان أو تحط من قدرها لذلك تكاد الموسيقى أن تكون الوحيدة من الفنون التي تصل لغتها إلى قلوب وعقول الناس دون تعليم أو تلقين ؛ لأنها تُسهم في إعطاء معنى للحياة وتهذب الروح وتزيد سعادة الإنسان وتخفف عنه التعب وتهيئ له بيئة صحية ونوما مطمئننا في حالة الاستماع لها أو العزف علي آلة موسيقية كما لها تأثير علي نبضات القلب بأن تحافظ على تناغم نظام القلب تبعا للموسيقي والإيقاع الخاص بها لذلك كثيراً ما استخدمت الموسيقى في علاجات بعض الأمراض وكان لها أثر كبير علي الحالة الصحية للإنسان ومدى تحسنها وتقليل الإجهاد العصبي والحالة المزاجية وزيادة مستوى الوعـــي بشكل عام ، وقد توصل العالم العربي أبوبكر الرازي إلى أهمية الموسيقي في تحسن الحالة الصحية للإنسان فقد لاحظ أن بعض المرضي ينسون آلامهم ويشـــعرون بالهدوء والسكينة عند سماعهم للألحان الشجية لما للموسيقي من تأثير علي معنويات الإنسان وشفاءه من الأمراض ، فلم تعد الموسيقى فنا وطربا ؛ بل أصبحت جُزءاً من ثقافة المجتمع وأساساته المتواجدة في كل المناسبات على اختلاف أشكالها والتي لا غنى للإنسان عنها في تطوير ذوقهم ونظرتهم للوجـــود ومما لا شك فيه أن الأذن الموسيقية المتذوقة تختلف من شخص إلى آخر حيث تنشأ مع فطرة الإنسان على الأنغام والاستماع لها والمداومة عليها فيصبح ذواقا للنغم قادراً على تمييز الألحان والآلات ببراعة وسهولة على خلاف الإنسان العادي الذي يستمع للنغم ؛ لأنه أعجبه وحــرّك فيه مشاعر جميلة فقط، بذلك تبقي الموسيقي لغة التعبير عن مشاعــر الإنسان وأفكاره لما لها من تأثير وقــوّة في استدعاء الانفعالات المختلفة في محاولة لتعديلها والارتقاء بها للأفضل وتنمية ذوق الإنسان وتذوقـــه الموسيقى حيث صاحبت الموسيقى الكثير من الأعمال الفنية ككلمات الأغاني أو مشهد تمثيلي ســـواء على المسرح أو على التلفزيون أو السينما فكانت الموسيقي تُعبر عن حالات الحُـــزن أو السعادة أو الخوف وقد تأتي هادئة تبعث الاسترخاء أو تحفيزية أثناء العمل أو ممارسة الرياضة فدور الموسيقي مهم في تنمية القيم النبيلة والسمو بمشاعر الإنسان إلى الأحسن وخلق روح الإبداع والتفوق.

نتائـــــــج الدراسة:

1- الموسيقى شعور يتجسد في إيقاعات وأنغام ينتجها العازف علي آلته مضيفا إليها تجاربه وانفعالاته الخاصة بقصد المتعة وأيقاظ خيالات وانفعالات المستمع إليها.

2- الموسيقـــى عمل نستمع إليه بحواسنا ونحكم عليه بعقولنا حتى نستمتع بسماع ذلك بإذن موسيقية حساسة وعقلا منجذبا في آن واحد وهذا يقودنا إلى القول إن الموسيقي لا تسلب المشاعر فقط بل لها تأثير على العقول أيضا ولكي تصل القطعة الموسيقية إلى المستمع لابد أن تحمل مقومات العمل الموسيقي من اتحاد النغم والإيقاع واللحن في صورة عمل معبراً تعبيراً حراً عن المشاعر والانفعالات.

3- تلعب دوراً مهمًا في تحســـــين نفسية الإنسان ومزاجه ، وخاصة عندما تكون هادئة فهي تحفز العقل وتقلل التوتر والقلق.

4- كثيراً ما استخدمت الموسيقى كوسيلة للفت الانتباه إلى قضايا معينة تحمل جوانب تحفيز الناس والتأثير فيهم ورفع معنوياتهم.

5- الموسيقى ليست أنغام وإيقاعات فقط ؛ بل هي تعبير عن عاطفة وأحاسيس.

6- التذوق الموسيقي ليس سواءً عند كل الناس ، بل يحتاج إلى أذن موسيقية ذواقة نشأت علي التذوق والإبداع ، فلقد ارتبطت الموسيقي بجميع أنواع الفنون فصاحبت الغناء والأشعار وشبهت باللوحة الفنية المرسومة واقترنت بالرقص الذي تعددت أنواعه وأشكاله بتعدد الموسيقي المصاحبة له.

الهوامـــــــــــش :

1. مراد وهبة- المعجم الفلسفي- دار قباء الحديثة-2007-ص476.
2. ليف تولستوي-ما هو الفن؟ - ترجمة: محمد عبدو النجادي-ط1-دار الحصاد –دمشق-1991-ص63
3. ميخائيل مشاقة-الرسالة النهائية في الصناعة الموسيقية-ب ط-دار الفكر العربي-1996-ص5
4. سليم الحلو-الموسيقي النظرية-دار مكتبة الحياة-بيروت-1972-ص12.
5. عبد الحميد دباب-عطاس عبد الله خشبه-رسالة في علم الموسيقي-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-1991-ص7.
6. حسين سعيد-الموسوعة الثقافية-مؤسسة ف فرانكلين للطباعة والنشر-نيويورك -1972-964.
7. هنري لانج-الموسيقي في الحضارة الغربية – ترجمة: أحمد حمدي محمود-مراجعة: حسين فوزي-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة -1985-ص15.
8. أنصاف جميل – علم الجمال بين الفلسفة والأبداع-دار الفكر للنشر والتوزيع-2007-ص58-59.
9. ابن سينا –الشفاء (جوامع علم الموسيقي) -تحقيق: زكريا يوسف-تصدير ومراجعة: أحمد فؤاد الأهواني ومحمود أحمد حقي-المطبعة الأميرية-القاهرة-1956-ص17.
10. محمد إبراهيم المنوفي-التربية الجمالية في الإسلام – جامعة المنوفية-1995-ص179.
11. وفاء إبراهيم، علم الجمال قضايا تاريخية معاصرة مكتبة غريب، الفجالة، 1991-ص50.
12. عادل أبو زهرة، البيئة وفلسفة الجمال، تقديم: إسماعيل سراج الدين-مكتبة الإسكندرية-2006-ص116.
13. جان برتليمي- بحث في علم الجمال-ترجمة: أنور عبد العزي ز-نظمي لوقا-مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر-القاهرة-1970-318.
14. المرجع السابق-نفس الصفحة.
15. محمد عزيز نظمي-علم جمال الموسيقي-ط1-موسسة شباب الجامعة-1993-ص12.
16. ا. نوكس-النظريات الجمالية-ترجمة: محم د شفيق شيآ-ط1-منشورات يحسون الثقافية -بيروت-1985-ص116.
17. المرجع السابق-نفس الصفحة.
18. حسين الصديق-فلسفة الجمال ومسائل الفن عند ابن حيان التوحيدي-ط1-دار القلم العربي سوريا—2003ص197.
19. أكرم المطر-الطرق الخاصة في التربية الموسيقية – مطابع الأهرام التجارية-القاهرة 1971-ص62.
20. ثروت عكاشة-الزمن ونسيج النغم-دار المعارف-القاهرة-1978-ص12.
21. حسين جمعة-تداخل أجناس الفن-أمانة عمان الكبرى -2007-ص46.
22. فايزة احمد-فلسفة الجمال والفن-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-2013-ص98.
23. محسن محمد عطية التقاء الفنون -عالم الكتب-القاهرة-2005-ص55.
24. أحمد حمدي محمود-ما وراء الفن-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة – 1993-ص48.
25. عزيز الشوان-الموسيقا للجميع-الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة-1990-ص10.
26. محمود البسيوني-مصطلحات التربية الفنية-دار المعارف –القاهرة-1992-ص9
27. عزيز الشوان-الموسيقا للجميع-مرجع سابق-ص110.
28. Aaron coplanar what to iisteh for music (N.Y.New American. Libreay.1967)p,31.1

29. ibid-P34 .
30. أروبين إدمان- الفنون والإنسان- ترجمة : مصطفي حسين-مكتبة مصر القاهرة 1951- ص 112.
31. أرون كوبلاند- كيف نتذوق الموسيقي-ترجمة: محمد رشاد بدارن-مراجعة: حسن محمد، تقديم: محمد عبد الوهاب-الشركة العربية للطباعة والنشر-القاهرة-ب ط. –ص60.
32. عزيز الشوان-الموسيقي للجميع-مرجع سابق-ص44.
33. محمد عزيز نظمي-قراءات في علم الجمال-ج4-1996-ص59.
34. سعاد علي حسين-المقابلات الإيقاعية-1973- ص 187.
35. سعاد على حسين المرجع السابق-ص187.
36. سعاد علي حسين-تربية السمع وقواعد الموسيقي العربية-القاهرة-ص1.
37. فتحي الضقهاوي-الموسيقي فن وعلم وثقافة-الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة-ص23.
38. محمد عزيز نظمي- علم جمال الموسيقي- مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية-1996-ص59.
39. احمد حمدي محمود-ما وراء الفن-مرجع سابق-ص 86.
40. أمال صادق-لغة الموسيقي –مركز التنمية البشرية والمعلومات-القاهرة-1988-ص80.
41. أفلاطون-طيماوس –ترجمة: جورجي بربارة، تحقيق وتقديم: البير ديفوا، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، 1968-ص10.

*- **التونالية الموسعة :** يقصد بها أن تكوين اللحن يدور حول سلم موسيقي ذو أثنى عشر نغمة وليس نغمة وليس سلم ذو الثمان نغمات التقليدي.

*- **تعدد التونالية** تعني استخدام سلمين أو أكثر في نفس الوقت في مؤلفة واحدة.

***- اللاتونالية** – تعني الرقص الكلي لوجود مركز تونالي أو سلم محدد في المؤلفة وذلك يجعل كل النغمات الاثنتي عشر ذات أهمية على حد سواء.

*- **الدوديكافونية** -يصفها المؤلف ليخلق بها خطا لحنياً مكوناً من اثنتي عشر نغمة كروماتية تسمى المصفوفة النغمية لتصبح التيما الرئيسية.